بعد المثليين..

ظاهرة الإيمو من منظور سيكولوجي*

www.arabpsynet.com/documents/DocQassimPhenIMO.pdf

أ.د.قاسم حسين صالح

رئيس الجمعية النفسية العراقية

qassimsalihy@yahoo.com

يفرز التطور الاجتماعي عبر الزمن ظواهر سلوكية ايجابية وأخرى سلبية.واللافت أن الظواهر التي يعدّها المجتمع سلبية تحصل في جيل المراهقين والشباب،وهذه حتمية اجتماعية نفسية تقوم على مسلمة الصراع بين ثقافات الأجيال.

والمشكلة ليست في حصول هذه الظواهر بل في طرائق التعامل معها . فالدول الأوروبية التي تفصل بين الدين والدولة، وتؤمن مجتمعاتها بالحريات الشخصية، تترك الممارسين لهذه الظواهر لحالهم ولا تحاسبهم على تصرفاتهم التي تبدو غريبة إلا إذا أساءوا للحريات العامة،ولا تمنعهم من نشر ثقافتهم الجديدة حتى لو كانت مضادة لقيم اجتماعية أو دينية. بل أن هذه الثقافات الجديدة اضطرت علماء النفس والطب النفسي إلى تغيير مفهوم (الشذوذ الجنسي) من عدّه اضطرابا نفسيا إلى حالة عادية، إلا في الحالات التي يلحق فيها الفرد أذى بنفسه أو بشريكه.

والمفارقة أن ما يحصل من ظواهر سلوكية سلبية في المجتمعات الحضارية،يتولى الأخصائيون النفسيون تشخيص أسبابها واقتراح معالجات احتوائها، فيما يتولى المسؤولون في السلطة (قوات الشرطة والأمن) التصدي لهذه الظواهر في مجتمعاتنا العربية. فعلى سبيل المثال شاعت في السبعينات ظاهرة (الميني جوب – التنورات القصيرة)بين طالبات الإعدادية، فعمدت (شرطة الآداب) في حينه إلى صبغ سيقانهن بـــ(البوية).

فقبل سنتين ظهرت مجموعة من الشباب المتميعين الذين يستخدمون " المكياج" لتجميل وجوههم، وزرق الهرمونات لتكبير الصدر ، والتشبه بالنساء في تصرفاتهم من الذين يوصفون بـــ(المخنثين) أو (الجنسيين المثليين). فقامت ميليشيات بقتل عدد منهم ولصق السيكوتين بمقاعد آخرين!، بإيعاز من رجال دين عدّوا هذا السلوك تحديا لقيم دينية وأخلاق اجتماعية يجب التصدي لها بالقتل والتشهير ليكونوا عبرة للآخرين!.وما لا يعرفه العادّون أنفسهم قيّمين على الدين والأخلاق،أن هذه الحالات موجودة ليس فقط في المجتمعات الغربية بل والإسلامية أيضا ،ولا علاقة لها بالأخلاق والدين والقيم ،لأنها حالة مرضية تصنف علميا تحت مصطلح(اضطراب الهوية الجنسية)ويعني تحديدا أن الفرد " المثلي"يشعر بأنه ولد في الجسم الخطأ.فالذكر يشعر نفسيا بأنه أنثى مولود في جسم ذكر فيحصل لديه اضطراب بين هويته النفسية ومشاعره الأنثوية وهويته البيولوجية وما مطلوب منه اجتماعيا كرجل. ولقد نبهنا، في حينه، أجهزة الدولة ان هؤلاء المثليين جاءوا بتركيبة نفسية وبيولوجية خاطئة ولديهم خلل تكويني يؤثر في نمو الدماغ البشري ويستمر في مراحل الحياة اللاحقة،ولا علاقة له بالتفسخ الأخلاقي والتحلل الاجتماعي ،وان التعامل معهم ليس بقتلهم أو بلصق السيكوتين بمقاعدهم،إنما بإحالتهم إلى الأطباء والاستشاريين النفسيين الذين يعرفون كيف يتعاملون معهم.

والآن تأتي ظاهرة (الإيمو) ويجري التعامل معهم بنفس الأساليب المتخلفة.فلقد وصف أحد رجال الدين المؤثرين في العملية

السياسية أن هذه الظاهرة (آفة)بالمجتمع الإسلامي وطالب الأجهزة المختصة بإنهائها قانونيا!.فيما ذكرت وكالة رويترز مساء 2012/3/11 انه تم قتل (14) شابا من الإيمو خلال شهر شباط 2012، وبثت قناة الشرقية لقاءات مع أشخاص أكدوا مقتل عدد من شباب الإيمو،فيما وصفت الحكومة هذه الأنباء بأنها (أكذوبة).

ومهما يكن من أمر فإن شباب الإيمو صاروا هدفا لنفس المليشيات التي استهدفت (المثليين) وصاروا ملاحقين من أجهزة بغطاء أمني،وصدرت بحقهم فتاوى بإهدار دمهم من بعض رجال الدين،وتشكلت تجمعات للدفاع عنهم ،وصار الأمر وكأنه قضية وطنية أو خطر سيطيح بالدين والأخلاق!.فلنتوقف عند (الإيمو)ونتعرف على بداياتها التي كانت في أمريكا ولم تطح لا بدينها ولا بأخلاقها.

في تسعينات القرن الماضي ظهر في الولايات المتحدة مراهقون وشباب ابتكروا تصرفات ورموزا وملابس وإكسسوارات خاصة بهم،أطلقوا على أنفسهم اسم (الإيمو) من الكلمة الانكليزية (Emotive) التي تعني الشخصية العاطفية الحساسة.

وكانت قد بدأت أصلا من فرق موسيقية تؤدي أغاني عاطفية جذبت المراهقين والشباب الذين يشعرون بالضياع النفسي..وهذا هو السبب السيكولوجي الرئيس الذي يجمع هؤلاء في مجتمع قائم على التنافس والفردية والأنانية وضعف الروابط الأسرية والمعايير الأخلاقية والقيم الدينية والاجتماعية.غير أنهم يختلفون في طريقة تعبيرهم عن هذا الضياع.فبينهم من يميل إلى المرح والفكاهة كوسيلة للهروب من الواقع.وبينهم،وهم الأكثرية، من يميل إلى الحزن والانطواء.

ولأن أغلبهم لا يمارسون عملا منتجا ويعيشون بلا هدف حياتي يسعون إلى تحقيقه فان الشعور بالضياع يتمكن من بعضهم فيصيبهم بالاكتئاب الذي يفضي إلى التفكير بالانتحار أو ارتكابه كانت مدمنة على سماع الموسيقى والأغاني العاطفية الحزينة.فعلا كما حدث لفتاة تدعى (هنا بوند)تنتسب لفرقة (إيمو)موسيقية .

ومع أن جماعة الإيمو ،لاسيما أعضاء الفرق الموسيقية ،لهم شكل مميز من حيث قصة الشعر والملابس الداكنة الضيقة ،فإنهم يختلفون أيضا في التعبير عن ضياعهم النفسي بالرموز أو الشعارات التي يكتبونها أو يصورونها.فالذين يشعرون بالحزن والأسى ،يرسمون على قمصانهم أو حقائبهم قلوبا مفطورة.والذين يعيشون حالة اكتئاب أو عدوانا مكبوتا ،يرسمون على أحذيتهم الرياضية جمجمة بشرية وعظمتين (شعار القراصنة) أو يعملونها إكسسوارات يطوقون بها معاصمهم أو يلبسونها محابس في أصابعهم.،فيما الذين يشعرون بالحاجة إلى الحب والحنان والعاطفة يرسمون فراشات ملونة على قمصانهم أو يكتبون عليها أغاني عاطفية مشهورة.

ذلك هو السبب السيكولوجي الرئيس لظهور (الإيمو)..الضياع النفسي الناجم عن غياب التوجيه الأسري وضعف الالتزام الديني والأخلاقي في مجتمع تنافسي قائم على الفردية والأنانية..المجتمع الأمريكي بشكل خاص حيث لا قيود على الحرية الشخصية..فما أسبابها في المجتمعات العربية والمجتمع العراقي بشكل خاص؟.

إن الشعور بالضياع النفسي عامل مشترك بين (إيمو) العرب والعراق و(إيمو) أمريكا وأوروبا.فنسبة بطالة الشباب في العراق تكاد تتصدر مثيلاتها في المنطقة.زد على ذلك أن شباب العراق كانوا يمنون أنفسهم بأحلام جميلة مشروعة كون أن بلدهم هو الأغنى في العالم وحكومتهم تعدّ الأفضل في المنطقة كونها منبثقة من برلمان منتخب في نظام ديمقراطي..فإذا بهم يصابون بالخيبات والانكسارات..وصار حاملو الشهادات الجامعية يخرجون صباحا إلى الشوارع ليندسوا بين عمال المسطر بحثا عن (بيك آب)تأخذ المحظوظ منهم ذاك اليوم ليحمل على أكتافه الطابوق ويعود بما يكفيه قوت يومه..فيما البائس منهم

يعود خائبا أو يتطاير جسمه أشلاءً بعبوة أو حزام ناسف.

والسبب الآخر ، هو شعورهم بانعدام العدالة الاجتماعية إذ وجدوا أن نظامهم الذي كانوا يتوقعون انه سينصفهم، قد أفرز طبقة اجتماعية من المحسوبين على السلطة أثرت بشكل فاحش فيما اغلبهم عاطل عن العمل.

ومع أن هؤلاء الشباب يعيشون حالة إحباط واغتراب عن المجتمع فإن التطرف الديني دفع بعدد منهم إلى ممارسة تطرف سلوكي مضاد..وهذا قانون اجتماعي..إن التطرف يخلق نقيضه.

ولأن الواقع ما عاد يحتويهم،ولا يقدم لهم حلا لمشاكلهم،ولا ينتشلهم من حالة الضياع التي يعيشونها ،فان الانفتاح على وسائل الاتصال، لاسيما الانترنت وشبكات الاتصال الاجتماعي العالمية، وجد فيها بعضهم وسيلة للهروب وحالة من التوحد بآخرين يمنحهم الشعور بوجودهم الإنساني على مستوى العالم.

واللافت أن هذه الظاهرة قد بولغ في حجمها ومخاطرها على قيمنا الإسلامية والعربية،لدرجة أن تناخى عدد من رجال الدين إلى حمل (السيف)الذي ما حملوه على من نهب المليارات ،وما شهروه بوجه مسؤول أوصله الفقراء إلى كرسي السلطة فأثرى وتركهم يزدادون فقرا وبؤسا .فظاهرة كهذه ليست مخيفة لدرجة تستدعي شحذ همم الأجهزة الأمنية والميليشيات للقضاء عليها، لأن أعدادها لا تصل المئات،وليست بقوة عاصفة تطيح بقيم صارت ثوابت عندنا من آلاف السنين. وأن شبابها ليسوا مدججين بالسلاح ولا بأحزمة ناسفة،بل هم مسالمون وحساسون ولا يؤذون أحداً. وعليه فان على المسؤولين منع أية جهة تستهدفهم ، والتعامل مع شباب هذه الظاهرة بأسلوب علمي تربوي ،والاستئناس بآراء الأخصائيين النفسيين من الذين لا علاقة لهم بالسياسة، واحتواء هذه الظاهرة بشكل هادئ والابتعاد عن تضخيمها إعلاميا ،راجين علماء الدين الأفاضل تهدئة النفوس ونصح أولئك الذين يهولون الأمر أو يحرّضون على قتلهم ،بوصفهم طائفة من عبدة الشيطان..فيما هم ضائعون نفسيا وعلينا انتشالهم من ضياع..الدولة أحد أهم أسبابه!

* المدى (2423) - الاربعاء 2012/03/14

*** *** ***

شتاء 2012 : فصل "الأبحاث و الدراسات الطنفسية و العلمنفسية "

أضف بحثك الى قاعدة البيانات

تكرم إثراء " قاعدة بيانات" الأبحاث و الدراسات الطنفسية و العلمنفسية " بشبكة العلوم النفسية العربية" بإرسال بيانات سيركم العلمية من خلال ارتباط " النموذج / FORM" التالي:

http://www.arabpsynet.com/paper/PapForm.htm

البحث في قاعدة بيانات الشبكة

www.arabpsynet.com/paper/default.asp

"مراسلات الشبكة" على الفايس بوك

http://www.facebook.com/Arabpsynet